المادة: المدارس اللسانية **الأستاذ: فريد زغلامي**

المستوى: السنة الثانية دراسات أدبية

المحاضرة الثامنة: المدرسة السياقية (مدرسة لندن، مدرسة فيرث)

المدرسة السياقية اتجاه لساني ظهر في إنجلترا في بدايات القرن العشرين، حيث يُعتبر عام 1935 نقطة البداية الواضحة لمدرسة فيرث، ثم تعد مرحلة الأربعينيات والخمسينيات فترة ترسيخ النظرية ونشر أعماله؛ إذ تُنسب هذه المدرسة إلى الإنجليزي "جون فيرث" (1890 – 1960)، ثم طوّرها بعدها تلاميذه وخاصة مايكل هاليدي. وتقوم هذه المدرسة على فكرة رئيسة مفادها: لا يمكن فهم معنى الكلمة أو الجملة إلا من خلال سياقها اللغوي وغير اللغوي.

أولا: مفهوم السياق

أ- لغة: جاء في لسان العرب: "السياق من السوق، والسوق معروف: ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وقد انساقت وتساوقت إذا تتابعت، والسياق المهر"، فالسياق بمعنى التتابع.

أما في المعجم الأجنبي فيقابل لفظ السياق مصطلح (Contexte)، وهو مكوّن من مقطعين (Con) بمعنى مع، و(Texte / النص)؛ أي ما يصاحب النص لتوضيح معانيه ودلالاته، فالسياق في اللغة يعني التتابع والمراكبة.

ب- اصطلاحا:

يراد به توالي وتتابع العناصر النصية (اللغوية التي يتشكل بواسطتها النص أو عناصر مقامية / غير لغوية يمكن من خلالها فهمه وتفسيره وتحقيق التواصل مع المتلقي).

تتابع العناصر اللغوية في السياق اللغوي، وتتابع الظروف والملابسات في السياق غير اللغوي.

ثانيا: أنواع السياق: يقسم الباحثون السياق عموما إلى:

1- السياق اللغوي / الداخلي / النصي / المقالي:

وهو التتابعات اللغوية في شكل الخطاب من وحدات صرفية وصوتية ومعجمية وما بينها من ترتيب وعلاقات تركيبية.

أو هو علاقات الاتساق والانسجام التي تربط وحدات النص.

2- السياق غير اللغوي / الخارجي / سياق الحال / المقام / الموقف:

يقصد به جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو المحيط الذي يُنتج فيه النص؛ أي الظروف والملابسات والأحوال المختلفة (السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، الزمكانية...) التي أسهمت في إنتاج النص من جهة، ويمكن تفسيره وفهمه في ضوئها من جهة ثانية.

ثالثا: أهم ممثلي المدرسة السياقية:

1 - برونيسلاف مالينوفسكي (1884 - 1942): يُعد من أهم علماء الأنثروبولوجيا في القرن العشرين، وله تأثير كبير على اللسانيات من خلال مفهوم "سياق الموقف" الذي أصبح أساسا للمدرسة السياقية؛ إذ تأثر به "جون فيرث" في صياغته لمبادئ المدرسة من خلال مفهوم "سياق الموقف"؛ حيث أكد أنه من الصعب فهم أي رسالة بعيدا عن الموقف الذي نتجت فيه (المتحدث، المخاطب، الزمان، المكان، الثقافة، العلاقة بين المتحدثين، الغاية من الحديث...)، فمعنى الكلام يتحدد من خلال هذه العناصر الموقعية.

2 - **جون فيرث:** مؤسس المدرسة؛ إذ يرى إنك تعرف الكلمة من خلال صحبة الكلمات.

3 – مايكل هاليدي: أبرز من طوّر المدرسة السياقية ضمن النظرية الوظيفية النظامية.

رابعا: مبادئ المدرسة السياقية:

1– **لا يُفهم المعنى إلا في سياقه:** ترى هذه المدرسة أن الكلمات لا تملك معنى ثابتا بذاتها، بل يتعدد معناها من خلال السياق اللغوي المحيط بها، وسياق الموقف. مثال: الفعل "ضرب" دلالته مطلقة لا تتعدد إلا من خلال السياق الذي جاء فيه:

ضرب الولد قطة / ضرب الأستاذ مثالا / ضرب الرياضي رقما قياسيا جديدا.

فالفعل واحد في التراكيب السابقة، ولكن اتخذ معان متعددة ولدتها السياقات التي ورد فيها.

2– **اللغة شكل من أشكال السلوك الاجتماعي / نشاط اجتماعي:**

ليست اللغة نظام قوانين مجردة، بل نشاط معنوي في سياق اجتماعي وشكل من أشكال الحياة الإنسانية تهدف إلى تحقيق غايات عملية / تواصلية، وهو ما يميزها عن المدرسة البنيوية التي ركزت على البنية الداخلية.

3/ اللغة بنية كلية شمولية: تعامل فيرث مع اللغة بنظرة أحادية غير مجزأة إلى ثنائيات ضدية كما ورد عند سوسير، إذ رفض رؤية التعبير والمضمون منفصلين، بل أصر على أن الصورة والمعنى متصلان مع بعضهما.

4– الدراسة الوظيفية للغة: يُدرس المعنى من خلال وظيفته في الجملة أو في النشاط الاجتماعي، وليس باعتباره تعريفا قاموسيا؛ إذ تركز السياقية على الوظيفة النحوية، الوظيفة التواصلية، الوظيفة الاجتماعية... .

5– تحليل اللغة من خلال الاستعمال: ترفض المدرسة تحليل اللغة في معزل عن استخدامها الواقعي، لذلك تهتم بـ: المحادثة اليومية، النصوص الواقعية، الاستعمال وليس القواعد المجردة.

6- التكامل بين التحليل اللغوي وغير اللغوي:

لا يكفي تحليل الجانب الصوتي أو الصرفي أو النحوي لوحده، بل يجب دمج البعد الاجتماعي والثقافي لفهم المعنى.

7- الاهتمام بالخطاب وليس الجملة فحسب:

تتعدى المدرسة تحليل الجملة إلى: النص الكامل، المحادثة... وهي خطوة مهمة نحو تحليل الخطاب الحديث.

إن السياق يسهم بطريقة أو بأخرى في تشكيل النص وفهمه وتأويله، على اعتبار أن النص واقعة اتصالية يشارك فيها المتكلم / الكاتب والمستمع / القارئ في زمان ومكان محددين.

خامسا: نقد المدرسة السياقية:

- تبالغ المدرسة السياقية في ربط المعنى بالسياق إلى درجة تضعف دراسة البنية الداخلية للغة، بالإضافة إلى جعل فهم الجمل والمعاني مشروطا بمعلومات خارجية قد لا تتوفر دائما.
- صعوبة تطبيق سياق الموقف في النصوص المكتوبة؛ فبعض النصوص المكتوبة القديمة / الأدبية / الرسمية والوثائق التاريخية لا يمكن دائما معرفة ظروفها الاجتماعية؛ مما يجعل تطبيق مبادئ المدرسة صعبا أو ناقصا.
- نقص في التحليل البنيوي الدقيق؛ فقد اتهمها البنيويون بأنها لا تهتم ببنية الجملة ولا تقوم بتحليل نحوي وصرفي صارم؛ وهو ما اعتبروه إضعافا للدرس اللغوي.
- ذاتية التفسير: فهي تعتمد على تقدير الباحث وخلفيته وفهمه للعلاقات والظروف التي يقوم عليها النص.

مراجع المحاضرة:

- ابن منظور(جمال الدين ابن مكرم)، لسان العرب.
- تمام حسّان، اجتهادات لغوية.
- مسعود بودوخة، السياق والدلالة.
- عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق.
- رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص.
- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات.
- عبد العزيز بن عبد الله الميهوبي، نظرية السياق.